صالون

أكاديمية رواد التميز للتعليم والتدريب

***

نضرة النعيم في نصرة النبي الكريم

صلى الله عليه وسلم

طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم
واجب شرعي وحياة للأفراد والأمم

بن سالم باهشام

أستاذ العلوم الشرعية

السبت

17 جمادى 2 - 1442

30 يناير 2021

طاعة الرسول صلى عليه وسلم

واجب شرعي وحياة للأفراد والأمم

الأستاذ بن سالم باهشام

أستاذ العلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

المحاور الأساسية

مقدمة

أولا: طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم سنة إلهية.

ثانيا: طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم هو الباب لطاعة الله تعالى.

ثالثا: أثر طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأفراد والأمم.

1 – من علامة الإيمان، الطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

2 – في طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم هداية من الضلال.

3 – طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم أمان من الفتنة والعذاب.

4 – طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ثمن لدخول الجنة ومصاحبة الرسول صلى الله عليه وسلم.

رابعا: نوع الطاعة التي أُمر المسلمون بها تجاه نبيهم عليه الصلاة والسلام

1 – الطاعة مع الاستسلام والرضا بكل ما قضى به الرسول صلى الله عليه وسلم.

2 – الطاعة للرسول صلى الله عليه وسلم المقرونة بالحب

3 – الطاعة مع تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم في النفس، وتعظيم أوامره

الخاتمة

مقدمة: داء الأمة الإسلامية ودواؤها

لا أحد ينكر ما وصلت إليه الشعوب الإسلامية اليوم، من الفرقة والتشرذم واحتقار الذات، والانسلاخ من تعاليم الدين الحنيف إلا من رحم الله، والرضا بلقب الانتماء الشكلي للدين، دون العمل بتعاليمه، والاهتداء بهديه، ما جعل كل الأطماع متجهة إليهم لنهب خيراتهم، ومسخ هويتهم، وقد صدق عليهم قول رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– فيما رواه عنه ثَوْبَانَ رضي الله عنه:

(يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهَنَ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهَنُ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ)[1].

هذا هو الداء الذي أصاب هذه الشعوب الإسلامية، فما السبيل لإحياء هذه الأمة من مواتها، وجمعها من فرقتها؟

إن الطريق الوحيد الذي لا ثاني له لإحياء هذه الأمة الحياة الحقيقية من حيث الكيفية والكمية، وإيجادها على أرض الواقع قوة يحسب لها حساب، ويخاف جانبها، هو الاستجابة المطلقة لله وللرسول صلى الله عليه وسلم دون قيد أو شرط، قال تعالى في سورة الأنفال: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ**

---

[1] – أخرجه أحمد في المسند(278/5 ، رقم 22450)، وأبو داود في السنن (111/4 ، رقم 4297).

شَدِيدُ الْعِقَابِ)[1]. لهذا سيكون حديثنا في هذه المداخلة إن شاء الله تعالى حول طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، واجب شرعي، وحياة للأفراد والأمم، وعزة لهم، وأمن من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

أولا: طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم سنة إلهية.

السنة الإلهية، هي طريقة حكمته تعالى[2]. وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ليست بدعا من الرسل عليهم السلام، بل قاعدة ثابتة، وقانون مطرد، قال تعالى في سورة النساء: ﴿ **وما أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾[3]، هذه هي سنة الله تعالى في الرسل عليهم السلام جميعًا، أن يؤدوا واجبهم في التبليغ الذي بعثوا من أجله، وعلى أقوامهم أن يطيعوا وينفذوا. ولو لم تكن الطاعة واجبة على أتباع الرسل، لما كان التزام ودين وخضوع، يتميز من خلاله المؤمن من الكافر.

ثانيا: طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم هو الباب لطاعة الله تعالى

من مظاهر الداء الذي أصاب الشعوب الإسلامية، ظهور عناصر من بني جلدتنا، وينتسبون إلى الإسلام، ويتقدمون للناس بصفة أنهم علماء ومفكرين، وهم ينكرون سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويرفضونها جملة وتفصيلا، ويطعنون في صحيح البخاري، الكتاب الذي شهد له العلماء سلفا وخلفا

---

[1] – [سورة الأنفال، الآيتان24، 25]

[2] – المناوي، عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، المحقق: عبد الحميد صالح حمدان، سنة النشر: 1410 – 1990، الطبعة الأولى، ص415.

[3] – [سورة النساء، الآية 64].

بالصحة، وما هؤلاء إلا تصديقا لما رواه الْمِقْدَام رضي الله عنه، صَاحِب النَّبِي – صلى الله عليه وسلم– قال: حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– أَشْيَاءَ يَوْمَ خَيْبَرَ مِنْهَا الْحِمَارُ الأَهْلِيُّ وَقَالَ: « **يُوشِكُ الرَّجُلُ مُتَّكِئٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ، يُحَدَّثُ بِحَدِيثِي فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلاَلٍ أَحْلَلْنَاهُ، وَمِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ، أَلاَ وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ** »[1].

والحقيقة التي لا مرية فيها، أنه لا يمكن أن يتصور أحد، أنه يستطيع طاعة الله دون الابتداء والمرور من باب طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، مصداقا لقوله تعالى في سورة النساء: ﴿**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً**﴾[2].

ويقول سبحانه في سورة الأنفال: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ** ﴾[3].

وقال عز من قائل في سورة آل عمران: ﴿ **قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ** ﴾[4]،

وقال سبحانه في سورة آل عمران: ﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾[5]،

وقال عز وجل في سورة النور: ﴿ **قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ** ﴾[1].

---

1 – البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي ، الناشر: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد ، الطبعة الأولى . 1344 هـ،(9/ 331) ح 19948.

2 – [سورة النساء، الآية 80].

3 – [سورة الأنفال، الآية 20].

4 – [سورة آل عمران، الآية 32].

5 – [سورة آل عمران، الآية 132]

ونختم هذا المحور بقول الله تعالى من سورة الحشر: ﴿**وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** ﴾[2]. لنقول: إن الآيات الواردة في القرآن الكريم بشأن الأمر بطاعته صلى الله عليه وسلم، كثيرة، ومعظمها جاء الأمر به مقترنًا بطاعته سبحانه وتعالى. وهي من الوضوح بحيث لا تحتاج إلى أي بيان آخر، ومع ذلك جاءت الأحاديث النبوية الشريفة لتؤكد هذا المعنى وتقرره في ميدان التطبيق، حتى يكون الخضوع لأمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم خضوعًا تامًا في كل الأحوال، في العسر واليسر، وفي السراء والضراء.

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(من أطاعني فقد أطاع الله، ومن يعصني فقد عصى الله...)**[3].

ثالثا: أثر طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأفراد والأمم.

1 – من علامة الإيمان، الطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

قال تعالى في سورة النور: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾[4]، في طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم علامة على الإيمان الصادق، إذ المؤمنون حقا أفرادا وشعوبا وحكومات، هم الذين يستأذنون الرسول صلى الله عليه وسلم في كل قضية من قضايا حياتهم السياسية والعلمية والثقافية

---

[1] – [سورة النور، الآية 54].

[2] – [سورة الحشر، الآية 7].

[3] – رواه مسلم في صحيحه ج3/ص1466 ح1835

[4] – [سورة النور، الآية 62].

والتربوية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، بحيث يجعلون الرسول صلى الله عليه وسلم قائدهم في كل شيء.

2 – في طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم هداية من الضلال.

–قال تعالى في سورة النور : ﴿ **قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ ، وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ، وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ** ﴾[1].

–وقال تعالى في سورة الشورى: ﴿ **وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ** ﴾[2].

–وثبت في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– إِذَا خَطَبَ ... يَقُولُ: (**أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ...**)[3].

3 – طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم أمان من الفتنة والعذاب.

قال تعالى مُحذِّرًا مَن يخالف أمره في سورة النور : ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[4]، فالله عز وجل يحذرهم من

---

1 – [سورة النور، الآية 54].

2 – [سورة الشورى، الآيتان 52، 53].

3 – رواه مسلم (ح 867)

4 – [سورة النور، الآية 63].

مخالفق أمر الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأنه سيصيبهم شرٌّ وعذابٌ أليم. ولنا في الصحابة الرماة رضي الله عنهم في غزوة أحد عبرة، فبسبب مخالفتهم لأمره صلى الله عليه وسلم، فاتهم النصر بعد أن انعقدت أسبابه، وأشرقت بوادره، وفي ذلك يقول الحق سبحانه في سورة آل عمران: ﴿ **وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ، حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ، مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا، وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ، ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ، وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ، وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾[1].

هذه سنة من سنن الله الإلهية في خلقه، لن تتخلف في أي عصر، وفي أي مصر، وهي أن مخالفة أمر النبي صلى الله عليه وسلم يعد من أهم أسباب الهزيمة وتخلف النصر عن الأمة في كل الميادين، كما أن من أعظم أسباب الفتن التي يموج فيها المسلمون اليوم، وما يلاقونه هنا وهناك من القتل والتشريد والتنكيل والإهانة، مخالفة أمر النبي صلى الله عليه وسلم في حياة المسلمين.

فالآية واضحة الدلالة، فيها تهديد صريح للذين يخالفون أمره، وسبيله وسنته وشريعته، فكل من خالف شريعة الرسول صلى الله عليه وسلم باطنا وظاهرا، فهو عرضة للإصابة بالفتن، وزيغ القلوب، والتباس الحق بالباطل عليه، فيضل، أو يصيبه عذاب أليم في الدنيا والآخرة.

---

1 – [سورة آل عمران، الآية 152].

وفي إطار المحاسبة لأنفسنا، ومدى استجابتنا للهدي النبوي الشريف في حياتنا، فإننا سنجد نسبة حضور سنة نبينا صلى الله عليه وسلم في حياتنا اليومية؛ في بيوتنا ومدارسنا، وإداراتنا، ومساجدنا، ومجالسنا، وأسواقنا وطرقنا وغيرها، نسبة ضئيلة، ومع ذلك، تجد الأغلبية منا يتساءل مستغربا، ما بال المسلمين في ضعف وهوان؟ ما بالهم يسألون الله في المساجد، فلا يستجاب لهم؟

ويستنصرون فلا ينصرون؟ ما بال الإسلام وأهله في اضطهاد في كل مكان؟ ما بال الأقلام المستأجرة من بني جلدتنا لا تقف من إثارة الشبهات في أمور الدين الإسلامي؟

ويأتينا الجواب من الخالق سبحانه وتعالى الذي لا يحابي أحدا من خلقه، فيقول في سورة آل عمران: ﴿ **أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾[1].

4 – طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ثمن لدخول الجنة ومصاحبة الرسول صلى الله عليه وسلم.

-قال تعالى في سورة النساء: ﴿ **وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ ، فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا** ﴾[2].

كل من يطع الله فيما أمر ونهى، وأطاع النبي صلى الله عليه وسلم فيما بشّر وأنذر، وبلّغ عن ربه، فأولئك يحشرون يوم القيامة مع الأنبياء والصدّيقين

---

1 – [سورة آل عمران، الآية : 165.]

2 – [سورة النساء، الآية 69].

والشهداء والصالحين، وحسنت رفقة هؤلاء، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

- روى أبو نعيم في الحلية، وغيره، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: **(جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ لَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، وَإِنَّكَ لَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي، وَإِنَّكَ لَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ وَلَدِي، وَإِنِّي لَأَكُونُ فِي الْبَيْتِ فَأَذْكُرُكَ فَمَا أَصْبِرُ حَتَّى آتِيَكَ فَأَنْظُرَ إِلَيْكَ، فَإِذَا ذَكَرْتُ مَوْتِي وَمَوْتَكَ عَرَفْتُ أَنَّكَ إِذَا دَخَلْتَ الْجَنَّةَ رُفِعْتَ مَعَ النَّبِيِّينَ، وَإِنِّي وَإِنْ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ خَشِيتُ أَنْ لَا أَرَاكَ. فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا حَتَّى نَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَذِهِ الْآيَةِ "وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ، وَالصِّدِّيقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ، وَالصَّالِحِينَ، وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا"[1].)**[2].

- وروى البخاري في صحيحه عَنْ أَبي هريرةَ - رضي الله عنه -: أَنَّ رَسُول الله - صلى الله عليه وسلم -، قَالَ: (**كُلُّ أُمَّتِي يَدخُلُونَ الجَنَّةَ إلاَّ مَنْ أبَى. قيلَ: وَمَنْ يَأبَى يَا رَسُول الله؟ قَالَ: مَنْ أطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أبَى)**[3].

---

[1] - [سورة النساء، الآية 69].

[2] - أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، 1394هـ - 1974م، بدون تحقيق، (4/ 240)، قال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ مَنْصُورٍ وَإِبْرَاهِيمَ، تَفَرَّدَ بِهِ فُضَيْلٌ، وَعَنْهُ الْعَابِدِيُّ.

[3] - [أخرجه البخاري، 114/9، (ح 7280)].

رابعا: نوع الطاعة التي أمر المسلمون بها تجاه نبيهم عليه الصلاة والسلام.

لم يأمر الإسلام المسلمين بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة مجردة، مثل طاعة المرؤوس لرئيسه، الذي قد يطيعه وهو يكرهه، أو يطيعه وهو يهينه في غيابه، أو يطيعه وهو يكره أوامره، وإنما أمر الإسلام بالطاعة والاستجابة للرسول صلى الله عليه وسلم المقترنة بالحب والتعظيم والنصرة للرسول صلى الله عليه والتسليم والاستسلام له، وعدم وجود الحرج في النفس تجاه أوامره.

1 – الطاعة مع الاستسلام والرضا بكل ما قضى به الرسول صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى في سورة النساء: ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[1].

*سبب نزول الآية:

نزلت هذه الآيۃ فيمن أراد التحاكم إلى الطاغوت: كعب بن الأشرف، ونزلت أيضا في رجل خاصم الزبير بن العوام رضي الله عنه في السقي بماء الحرّة[2]، فقال لهما رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيما ثبت في الصحيحين: «اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك» فغضب ذلك الرجل وقال: أن كان ابن عمتك؟! فغضب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، واستوعب للزبير حقه فقال: احبس يا

---

[1] – [سورة النساء، الآية 65]

[2] – ماء الحرّة : ماء السيل.

زبير حتى يبلغ الجدر[1]، ثم أرسل الماء، فنزلت هذه الآية: (فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ)، وكان هذا الرجل في الصحيح، رجلا من الأنصار من أهل بدر، وقيل: هو حاطب بن أبي بلتعة.

***معنى الآية:**

توجب هذه الآية إطاعة الرسول في كل أمر ونهي، فالله يخبرنا أنه لم يرسل رسولا إلا وطاعته واجبة، بإذن الله وأمره، فالطاعة في الأصل لله، ثم لمن يأمر الله بطاعته، ومن يطع الرسول فقد أطاع الله، ومن يعص الرسول فقد عصى الله[2].

2 – الطاعة للرسول صلى الله عليه وسلم المقرونة بالحب

طاعة الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم دليلٌ على محبَّة العبد لله تعالى، قال تعالى: في سورة آل عمران: ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي** ﴾[3]، فعَلامة مَحبَّة الله تعالى هي الطاعة والاتِّباع، ولا يَكون هذا إلاَّ إذا كان واقِعًا نَحْياه في حياتنا، في السرَّاء والضرَّاء، وفي الشدَّة والرَّخاء، وفي العسر واليُسر، والمَنْشَط والمَكْرَه.

ومحبة الله تعالى لا تنفصل عن محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لهذا

---

1 – الجدر: معناه ما رفع حول الأرض المزروعة، فصار كالجدار.

2 – الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير الوسيط، الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة الأولى – 1422 هـ، (1/ 339– 340)

3 – [سورة آل عمران، الآية 31]

اعتبرت شعبة واحدة من شعب الإيمان السبع والسبعين، وهي محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، كما جاء في المنهاج النبوي لشعب الإيمان[1].

-روى الهيثمي في بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ، عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: **(جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ ؟ فَقَالَ : وَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا**[2]**؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي لَضَعِيفُ الْعَمَلِ وَإِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، قَالَ: فَأَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**[3]**)**[4].

3 - الطاعة المقرونة بتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم في النفس، وتعظيم أوامره.

---

[1] - ياسين، عبد السلام، المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا، الشركة العربية الإفريقية للنشر والتوزيع، ص 141.

[2] - وما أعددت لها: أي ما هيأت للساعة من الأعمال الصالحة، حيث تشتاق إليها وتسأل، (هذا الرجل هو ذو الخويصرة اليماني، الذي بال في المسجد، كذا في فتح الباري 10 / 555).

[3] - فأنت مع من أحببت: يعني إن حبك في الله، بلغك إلى مرافقة من تحبه، وإن كنت قليل العمل، وفي معناه ما ورد : " **المرء مع من أحب** "، أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم.

[4] - الهيثمي، نور الدين، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث بن أبي أسامة [186 - 282]، المحقق : د. حسين أحمد صالح الباكري، الناشر : مركز خدمة السنة والسيرة النبوية - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1413 - 1992.(2/ 990)

إن تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم، وإجلاله، وتوقيره، شعبة عظيمة من شعب الإيمان، وهذه الشعبة غير شعبة المحبة[1]، بل إن منزلة التعظيم ورتبتها فوق منزلة ورتبة المحبة. ذلك لأنه ليس كل محب معظماً، ألا ترى أن الوالد يحب ولده، ولكن حبه إياه يدعوه إلى تكريمه ولا يدعوه إلى تعظيمه، والولد يحب والده فيجمع له بين التكريم والتعظيم، والسيد قد يحب مماليكه، ولكنه لا يعظمهم. والمماليك يحبون ساداتهم ويعظمونهم، فعلمنا بذلك أن التعظيم رتبته فوق رتبة المحبة[2].

-قال سبحانه وتعالى في سورة الأعراف: ﴿ **فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾[3].

فهذه الآية، قد سجل الله فيها الفلاح بأسلوب الحصر للذين تأدبوا بهذا الأدب القرآني الرفيع مع الرسول صلى الله عليه وسلم.

-وقال تعالى في سورة الفتح مبينا حق رسول الله صلى الله عليه وسلم على

---

[1] – الحليمي، الحسين بن الحسن الحليمي أبو عبد الله، المحقق: حلمي محمد فودة، المنهاج في شعب الإيمان، الناشر: دار الفكر، سنة النشر: 1399 – 1979، الطبعة الأولى، الشعبة الخامسة عشرة، (2/ 124). وكذلك البيهقي؛ أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر، الجامع لشعب الإيمان (ط. الرشد)، المحقق: مختار أحمد الندوي – عبد العلي عبد الحميد حامد، الناشر: مكتبة الرشد، سنة النشر: 1423 – 2003، الطبعة الأولى، الشعبة الخامسة عشرة. (1/ 300).

[2] – الحليمي، المنهاج في شعب الإيمان، (2/ 124).

[3] – [سورة الأعراف، الآية 157].

كل مؤمن ومؤمنة، وعلى كل شعب مسلم، وعلى كل حكومة مسلمة : ﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ** ﴾[1].

وقد ذهب علماء السلف إلى أن الضمير في قوله جل شأنه: ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾، راجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعناه: تعظموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفخّموه في أدب المخاطبة والتحدث إليه ومجالسته.

قال ابن تيمية رحمه الله في بغية المرتاد: (فالتسبيح لله وحده، والتعزير والتوقير للرسول صلى الله عليه وسلم، والإيمان بالله ورسوله)[2].

فتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم وتفخيمه في أدب المخاطبة، ومحبته، حق من حقوقه صلى الله عليه وسلم الواجبة له مما يزيد على لوازم الرسالة. كما أخبر سبحانه وتعالى في كتابه العزيز.

وهذه الآيات وغيرها نزلت لتبيِّن مقام شرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وعظيم منزلته عند ربه؛ مما يوجب على المؤمنين برسالته أن يكونوا في غاية الأدب معه والإجلال والتعظيم.

---

[1] – [سورة الفتح، الآيتان، 8– 9].

[2] – [ابن تيمية؛ أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية، بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد (السبعينية)، المحقق: موسى بن سليمان الدويش، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، سنة النشر: 1422 – 2001، الطبعة الثالثة، (504)].

الخاتمة: فضل الرسول صلى الله عليه وسلم علينا.

طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم واجب شرعي على الأفراد والشعوب والحكومات الإسلامية، في العالم كله، في كل شؤون حياتهم الأسرية والتربوية والثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والفلاحية، وفي سائر مناحي الحياة، مع المحبة والتعظيم والتوقير والنصرة، قال الحليمي – رحمه الله – قال الحليمي: (فمعلوم أن حقوق رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل, وأعظم, وأكرم, وألزم لنا, وأوجب علينا من حقوق السادات على مماليكهم, والآباء على أولادهم, لأن الله تعالى أنقذنا به من النار في الآخرة، وعصم به لنا أرواحنا, وأبداننا, وأعراضنا, وأموالنا, وأهلينا, وأولادنا في العاجلة، فهدانا به لما إذا أطعناه فيه أدانا إلى جنات النعيم. فأية نعمة توازي هذه النعم, وأية منة تداني هذه المنن. ثم إنه جل ثناؤه ألزمنا طاعته، وتوعدنا على معصيته بالنار. ووعدنا باتباعه الجنة. فأي رتبة تضاهي هذه الرتبة، وأي درجة تساوي في العلا هذه الدرجة. فحق علينا أن نحبه, ونجله, ونعظمه, ونهابه أكثر من إجلال كل عبد سيده, وكل ولد والده. وبمثل هذا نطق القرآن, ووردت أوامر الله جل ثناؤه)[1].

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

---

[1] – الحليمي، المنهاج في شعب الإيمان، (124– 125) والجامع لشعب الإيمان، (302–303).

المصادر والمراجع

1 - البخاري؛ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، صحيح البخاري، الناشر: دار ابن كثير - دمشق بيروت، سنة النشر: 1423 - 2002، الطبعة الأولى.

2 - ابن تيمية؛ أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية، بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد (السبعينية)، المحقق: موسى بن سليمان الدويش، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، سنة النشر: 1422 - 2001، الطبعة الثالثة.

3 - ابن حجر العسقلاني؛ أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الناشر: دار الرسالة العالمية، سنة النشر: 1434 - 2013، الطبعة الأولى.

4 - ابن حنبل؛ أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله، الشيباني الوائلي، مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة.

5 - أبو داود؛ سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني، سنن أبي داود، المحقق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، الناشر: دار الرسالة

العالمية، سنة النشر: 1430 – 2009، الطبعة الأولى.

6 – أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الناشر: السعادة – بجوار محافظة مصر، 1394هـ – 1974م، بدون تحقيق.

7 – البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، الناشر: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، الطبعة الأولى . 1344 هـ.

8 – الترمذي؛ محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي البوغي الترمذي، أبو عيسى، سنن الترمذي، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، سنة النشر: 1996، الطبعة الأولى.

9 – الحليمي، الحسين بن الحسن الحليمي أبو عبد الله، المحقق: حلمي محمد فودة، المنهاج في شعب الإيمان، الناشر: دار الفكر، سنة النشر: 1399 – 1979، الطبعة الأولى.

10– الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير الوسيط، الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة الأولى – 1422 هـ.

11– المناوي، عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، المحقق: عبد الحميد صالح حمدان، سنة النشر: 1410 – 1990، الطبعة الأولى.

12 – النسائي؛ أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار،

أبو عبد الرحمن النسائي، سنن النسائي، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني – مشهور بن حسن آل سلمان الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الطبعة الأولى.

13 – الهيثمي، نور الدين، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث بن أبي أسامة [186 – 282]، المحقق : د. حسين أحمد صالح الباكري، الناشر : مركز خدمة السنة والسيرة النبوية – المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1413 – 1992.

14 – مسلم؛ مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابورى، أبو الحسين، صحيح مسلم، المحقق: نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة، الناشر: دار طيبة، سنة النشر: 1427 – 2006، الطبعة الأولى.

15 – ياسين، عبد السلام، المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا، الشركة العربية الإفريقية للنشر والتوزيع.

الفهرس